شارات الخلافة في

الخلافة كما هو معروف ضرب من الملك خاص بالاسلام ، لم تعرفه الأمم السابقة عليه • وهي من قبيل الملكية المطلقة ، ولكنها تمتاز بانها تشمل السلطتين الدينية والدنيوية • على ان للخلافة أربعة شروط يجب توافرها في الخليفة ، وهي العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس • وقد اختلف المسلمون في شرط خامس هو النسب القرشي ، أي أن الخلافة لا تقوم الا في قبيلة قريش •

وقد انفردت الخلافة الاسلامية بعلامات وشارات ميزتها عن باقي نظم الحكم الاخرى التي عرفها العالم القديم والوسيط • على أن تلك الشارات لم تكن حادثا عرضيا أو سطحيا كما يبدو من اسمها ، بل هي في الواقع سيمات وظواهر لعبت دورا خطيرا في تاريخ الخلافة الاسلامية من الناحية السياسية والاقتصادية والفنية • وقد رأيت أن أخصص هذا المقال لشارات الخلافة دون العلامات • وقد كانت شارات الخلافة ثلاث ، الخطبة والسكة والطراز •

الفن الإسلامي

بقلم الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر
عميدة كلية الآثار بجامعة القاهرة

أما عن الخطبة ، فالمقصود بها الدعاء للخليفة على المنابر في صلاة الجمعة ، فقد كان من عادة الخلفاء الراشدين أن يتولوا امامة الصلاة بأنفسهم بالمسجد النبوي وكانوا يختمونها بالدعاء للرسول صلى الله عليه وسلم · فلما كثرت الفتوحا تالاسلامية واتسعت رقعة الدولة صارت كل قبيلة تقيم لها مسجدا خاصا تؤدي فيها صلاة الجمعة مما كاد يودي بوحدة الدولة وينذر بتقطيع أوصالها · فلما علم بذلك عمر بن الخطاب خشي مغبة هذه الفرقة بين القبائل العربية التي ذهبت لنشر الدعوة وفتح الأمصار كتب الى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ، ويتخذ للقبائل مساجد ، فاذا كان يوم الجمعو انضموا الى مسجد الجماعة · وكتب الى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك ، وكتب الى عمرو بن العاص وهو فلى مصر بمثل ذلك أيضا ، فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده ، وكانت صلاة الجمعة تؤدى في المسجد الجامع ·

وهكذا أضحى عمال وولاة الولايات يتولون امامة الصلاة في ولايتهم ، فكانوا اذا صلوا ختموا الصلاة بالدعاء للخليفة ، وكان أول من فعل ذلك منهم عبدالله بن

عباس الذي تولى امارة البصرة على عهد الخليفة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه، اذ قال : « اللهم انصر عليا » واتصل العمل علـى ذلك فيما بعد . وصار الدعاء للخليفة علامة سلطانه عليهم ، وحذف اسمه علامة خلعه من الخلافـة . وقد اصبح للجامع مدلول سياسي في عهد الدولة الاموية ، فقد عرف بالجامع ، المسجد الذي يؤم فيه الخليفة أو من ينوب عنه المسلمين في صلاة الجمعة ، أي لفظ الجامع أصبح يطلق على مسجد الدولة الرسمي الذي كان يعرف باسم المسجد الجامع .

مما تقدم يتبين لنا ان المسجد هو مكان صلاة القبيلة أمـا الجامع فهو المكان الرسمي لصلاة الجمعة حيث يلقى الخليفة أو من ينوب عنه في القاء خطبة الجمعة . ومن ثم فقد تحتم أن يكون بالجامع منبر لارتباطه الوثيق بالقاء الخطبة ، بل وأصبح من أهم مقومات الجامع الأساسية ، أما المسجد فلا يجوز أن يحتوي على منبر .

اما عن تاريخ المنبر في الاسلام فيرجع الى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم فقد تعددت الروايات في السيرة العطرة ، وتضاربت الاقوال في سبب اتخاذ الرسول للمنبر لعل أرجحها ، ما ذكره ابن سعد في الطبقات والترمذي في المواهب الدينية على الشمائل المحمدية وكذا المسهودي في وفاء الوفا ، وملخصها أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، اذا خطب وأطال كان يشق عليه ذلك ، اذ كـان يشكو مـن مرض في فخذه ، فكان يستند الى جذع النخل ، المتخذ منه أعمدة المسجد ، فبصر بـه رجل ، كان قد ورد الى المدينة فرآه قائما الى الجذع ، فقال لمن يليه من الناس « لو أعلم أن محمدا يحمده في شيء لصنعت له مجلسا يقوم عليه فان شاء جلس مـا شاء وان شاء قام » . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال « أتوني به » فأتوه به فأمره أن يصنع له هذه المراقي الثلاث فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك راحة له .

أما عن النجار الذي صنـع منبر الرسول ، فقد اختلف المؤرخون فـي اسمه وجنسيته ، فقيل انه رجل رومي الأصل أتى الى الرسول وطلب منه في رفق أن يصنع له منبرا يخطب عليه وقيل انه قبطي مـن مصر واسمه بقطر وانـه قريب لزوجته (ماري) وأمه ولده ابراهيم . وفي رواية ثالثة أن تميم الداري الذي ينتسب الى قبيلة لخم من أهل فلسطين ورواية رابعة أن صانع المنبر نجار كـان بالمدينة اسمه ميمون وذلك في السنة السابعة للهجرة وان المنبر كان من خشب الاثل .

وتكاد تجمع المراجع على أن المنبر كان يحتوي على ثلاث درجات وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يجلس على المنبر على الدرجة العليا التي عرفت باسم المستراح ويضع رجليه على الدرجة الثانية ، فلما ولي أبو بكر الصديق قام على الدرجة الثانية ووضع قدميه على الدرجة السفلى ، فلما ولى عمر بن الخطاب قام على الدرجة السفلى ووضع قدميه على الارض اذا جلس ، فلما ولى عثمان بن عفان ، فعل ذلك ست سنوات من خلافته ثم الى موضع النبي صلى الله عليه وسلم . واستمر منبر الرسول على حاله حتى تولى معاوية الخلافة فزاد فيه ست درجات واصبح بذلك يتكون من تسع درجات ، وكان ينوي في نفس الوقت نقله الى الشام، فلما أظهر أهل المدينة امتعاضهم وعدم ارتياحهم الى نقله ، عدل عن فكرته . وقد عاودت فكرة نقله الى الشام الخليفة عبد الملك بن مروان والوليد وكذا سليمان ولكنهم سرعان ما عدلوا عن رغبتهم . وكان للمنبر مسند مكون من ثلاثة أعواد فقدت احداهن سنة ثمان وتسعين ومائة ، كما كانت له رمانتان يمسكها الرسول بيديه اذا جلس . ويحدثنا ابن زبالة عن ابعاده فيقول « وطول منبر الرسول خاصة ذراعان في السماء اي (١٠٤) وعرضه ذراع في ذراع وتربيعه سواء (أي ٥٢ × ٥٢ سم) » .

وقد توالت يد التجديد والترميم لهذا المنبر في العصر العباسي حتى صار كما وصفه لنا ابن جبير الذي زار المدينة المنورة سنة ٥٧٨ هـ ، ارتفاعه من الارض يتراوح نحو القامة أو يزيد وان له ثمان درجات وله باب على هيئة شباك ، وان المنبر مغطى بطبقة من خشب الابنوس وان مقعد الرسول صلى الله عليه وسلم قد سمر عليه لوح من الابنوس ليصونه من الجلوس عليه ، وأن الناس كانوا يتسابقون الى مس هذا المقعد بأيديهم للتبرك به ، ويتم لنا السمهودي تاريخ منبر الرسول فيقول انه احترق أثناء حريق المسجد سنة ٦٥٤ هـ ثم توالت ارسال المنابر الى الحرم النبوي ، فقد أرسل السلطان الظاهر بيبرس منبرا آخر استمر حتى سنة ٧٩٧ هـ فلما بلي أحضر بدله السلطان الظاهر برقوق . وفي سنة ٨٢٢ هـ أرسل السلطان المؤيد شيخ منبرا جديدا قيل انه كان من صناعة الشام ظل مستعملا حتى أرسل السلطان قايتباي في نهاية القرن التاسع للهجرة منبرا جديدا ما يزال موجودا بالمسجد النبوي حتى الآن .

وقد حذت الممالك والامصار حذو مسجد الرسول صلوات الله عليه في انشاء

المنابر ، فقد استحدثت المنابر في مساجد مصر منذ عهد عمرو بن العاص وفي خلافة عمر بن الخطاب ثم انتشرت في قرى مصر في عهد الوالي عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير اللخمي من قبل آخر خلفاء الدولة الأموية مروان بن محمد ، الذي أمر باتخاذ المنابر في الكور ، بعد أن كان الخطيب في قرى مصر يجلس متكئا على عصا بجانب القبلة ·

كذلك اتخذت المنابر بمساجد الكوفة والبصرة وغيرهما من مدن العراق ، كما وجدت المنابر في أجناد الشام · ويقال ان المنابر الأولى كانت كلها على غرار منبر الرسول صلوات الله عليه أي أنها تتكون من ثلاث درجات فقط · أما مكة المكرمة فان أول من أوجد المنبر في مسجدها معاوية بن ابي سفيان ظل باقيا فيها حتى جاء هارون الرشيد فأحضر معه منبرا جديدا من تسع درجات وأخذ المنبر القديم وجعله بعرفة · وفي بلاد افريقية والمغرب فقد وجد المنبر بجامع سوسة والقيروان ، وان كانت منابرها متنقلة ، أي أنها تحفظ طوال أيام الاسبوع في قاعة صغيرة بجوار المحراب ولا يخرج منها الا في أيام الجمع والأعياد ، ويقال ان الحجاج هو الذي ابتدع فكرة المحاريب المتنقلة ·

وكانت المنابر الاولى في الاسلام ، وخاصة بمصر كبيرة بحيث كانت تقطع صفوف المصلين حتى كان عهد الخليفة العباسي المهدي بن ابي جعفر المنصور سنة ١٦١ هـ فأمر بتصغيرها بحيث تصبح في حجم منبر الرسول ·

وكان من الطبيعي بعد أن تعددت المنابر في العالم الاسلامي وزاد الاقبال على اتخاذها في المساجد الجامعة لاتصالها الوثيق باحدى شارات الخلافة الهامة ألا وهي الخطبة ، أن تصبح موضع عناية ورعاية صناع الخشب · فقد تضافرت الجهود الفنية والزخرفية في اخراج المنابر في صورة تليق ومكانتها الدينية والسياسية · فقد صنعت من أجود أنواع الخشب من الساج الهندي وخشب الأرز وطعمت بالعاج والصدف والابنوس وحليت بالفضة والذهب ·

أما من حيث الاسلوب الصناعي والزخرفي فقد كانت تتبع الاسلوب العام السائد في الفترة الزمنية التي صنعت بها وأخذت تتطور بتطور صناعة وزخرفة الاخشاب التي سادت في العالم الاسلامي ·

ولعل من أحسن الأمثلة التي تمثل أقدم المنابر التي ما تزال باقية حتى الآن والتي تحتوي على تاريخ منبر جامع تلمسان ، الذي ما يزال يحتفظ بلوحته التأسيسية التي جاء بها « هذا ما أمر به الامام ادريس ابن ادريس بن عبدالله بن حسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم في شهر محرم سنة تسع وتسعين ومائة » وللأسف فان المنبر القديم لم يبق منه الا اللوحة التذكارية فقط . ومن الأمثلة الغير كاملة ايضا للمنابر الاولى قطع خشبية مزخرفة يظن أنها من منبر تكريت وهي محفوظة بمتحف المتروبوليتان بالولايات المتحدة على أن أهم وأقدم منبر قائم وكامل هو منبر جامع القيروان الذي يرجع الى سنة ٢٤٨ هـ . (انظر شكل (١) ، (٢) ، (٣)) .

واعتمادا على القطع السابق الاشارة اليها وكذا منبر جامع القيروان ، نستطيع القول بأن أسلوبها الزخرفي يشبه أسلوب الزخارف التي وجدت في العصر الأموي وأوائل العصر العباسي . ومن المعروف أن الفن الاسلامي قام على أسس من فنون البلاد التي فتحها المسلمون أو خضعت للحكم الاسلامي ونعني بها الدولة الساسانية والدولة البيزنطية والفن القبطي في مصر . على أن الفاتح العربي لم يقبل فنون تلك البلاد على علاتها ، بل أخذ منها العناصر والأساليب التي توافق مزاجه والتي لا تتعارض وعقيدته الاسلامية . ثم مزج كل العناصر التي جمعها من جميع أنحاء الدولة الاسلامية في بوتقة واحدة وأخرج منها في النهاية فنا اسلاميا متميزا بعد أن أضاف اليه من عنده الخط العربي كعنصر زخرفي . وقد استغرقت هذه العملية من جمع واستبعاد ومزج ثلاثة قرون تقريبا أصبح للفن الاسلامي قوامه الخاص الذي تكاد لا تخطئه العين .

وقد امتازت المنابر الاولى في الاسلام التي ما تزال باقية حتى الآن ، والسابق الاشارة اليها بزخارفها التي تجمع بين العناصر الساسانية والبيزنطية والتي عرفت فنيا باسم الاسلوب الهلينستي وان كانت قد اقتصرت على الزخارف النباتية والهندسية فقط . أما منبر جامع القيروان والذي يرجع الى سنة ٢٤٨ هـ فقد ظهر به أسلوب سامراء الزخرفي الذي تميز بالاسلوب التجريدي المحور والذي أطلق علماء الفنون اسم (أرابيسك) نسبة الى ان العرب هم أول من ابتدعه وأكثر من استخدمه .

وقد تطورت صناعة المنابر وزخرفتها بتطور الفن الاسلامي ، ففي القرن الخامس للهجرة اصبحت جوانب المنبر (ريشتية) تصنع بطريقة الحشوات المجمعة وهي أرقى ما وصل اليه فن زخرفة الاخشاب حتى الآن · كما تلاشت الزخارف النباتية المجسدة والمحورة وأصبح قوامها الشكل النجمي المعروف باسم الطبق النجمي الذي رصع وطعم بالعاج والصدف والابنوس · ويعتبر منبر حرم الخليل بفلسطين الذي صنع من أجل جامع الامام الحسين بن علي بعسقلان سنة ٤٨٤ هـ ، والذي نقل الى حرم الخليل بعد نقل رأس الحسين رضوان الله عليه الى مصر في عهد الدولة الفاطمية ، من أحسن وأجمل وأقدم الأمثلة لزخرفة المنابر بطريقة الحشوات المجمعة وخشب الخرط · « أنظر شكل (٤) ، (٥) » ·

ومن شارات الخلافة بل وشارات الملك على الاطلاق السكة وهي الختم على النقود بطابع من حديد ينقش فيه اسم الخليفة أو السلطان وهي لازمة للدولة · ومن المعروف انه لم يكن للعرب قبل الاسلام نقود خاصة بهم ، بل كانوا يتعاملون بالدراهم الساسانية وهي من الفضة والدنانير البيزنطية وهي من الذهب ، وكانوا يعبرون عن الذهب بالعين وعن الفضة بالورق ، على أن مرجع هذه النقود انما هو الوزن ، فكانوا يتبايعون بالدنانير على انها (تبر) لأن المراد بالدينار قطعة من الذهب وزنها مثقال ، والمراد بالدرهم قطعة من الفضة وزنها (وافي) · وقد أقر الرسول صلوات الله عليه هذه النقود وظل التعامل بها وكذا سار بسنته أبو بكر وعمر ، فيذكر المقريزي أن عمر بن الخطاب ضرب سنة ١٨ هـ الدراهم على نقش الكسروية وشكلها وأعيانها (صورها ولكنه زاد عليها عبارة « الحمد لله » وفي بعضها « محمد رسول الله » وفي البعض الآخر « لا اله الا الله وحده ») وفي عهد عثمان بن عفان ضربت دراهم سنة ٢٨ هـ في قصبة هرتك طبرستان نقش على دائرها بالخط الكوفي « بسم الله ربي » · وضرب في عهد علي بن أبي طالب دراهم سنة ٣٨ هـ على دائرته هذه العبارة أيضا · وفي فترة النزاع بين يزيد ابن معاوية وبين عبدالله بن الزبير ، ضرب درهم في يزد سنة ٦١ هـ نقش على دائرته « عبدالله بن الزبير أمير المؤمنين » بخط بهلوي ·

على أن تلك السكوكات لم تكن نقودا رسمية للدولة الاسلامية اذ كانت أكثر معاملاتهم بالنقود الفارسية والبيزنطية حتى كان عهد الملك بن مروان حيث تم

اصلاح النقود العربية وتعريبها · أمـــا عن السبب الذي مـــن أجله تم الاصلاح والتعريب فتجمع المراجع العربية الدميري في الحيوان والبلاذري في فتوح البلدان والمقريزي في شذور العقود وأبو المحاسن في النجوم الزاهرة على الرواية التالية « ان الخليفة عبد الملك ابن مروان أراد تغيير الطراز من الرومية الــى العربية ، كما سنفصله في الطراز ، فشق ذلك على ملك الروم جستنيان الثاني فبعث اليه يتهدده بأن ينقش على الدنانير البيزنطية التي ترد الــى الشرق العربــي عبارات شتم في النبي ، فعظم ذلك على عبد الملك ، فجمع اليه كبار المسلمين واستشارهم فأشار عليه أحدهم بمحمد الباقر أحد الأئمة الاثني عشر من أئمة الشيعة ، وكان يقيم بالمدينة · فعظم على عبد الملك أن يستنجد أحد أئمة بني هاشم وهم مناظروه في الملك ولكنه لم ير بدا من استقدامه فكتب الى عامله في المدينة ان « أشخص الي محمد بن علي بن الحسين مكرما ومتعه بمائة ألف درهم لجهازه و ٣٠ الف لنفقتــه وارح عليه في جهازه وجهاز من يخرج معه مـــن أصحابه » · فلما قدم محمد الى دمشق استشاره

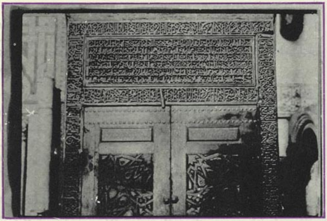

منبر حرم الخليل بفلسطين ٤٨٤ هـ·

عبد الملك في ما ينويه ملك الروم من الاساءة بالاسلام فقال محمد « لا يعظم هذا عليك ، ادع في هذه الساعة صناعا فيضربون بين يديك سككا للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها صورة التوحيد وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحدهما في وجه العملة والآخر في الوجه الثاني ، وتجعل في مدار العملة ذكر البلد الذي تضرب فيها الدراهم والدنانير . وتعمد الى وزن ثلاثين درهما عددا من الاصناف الثلاثة التي وزن العشرة منها عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل فتكون أوزانها جميعا احدى وعشرين مثقالا فتجزئها من الثلاثين فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل . كما تصب صنجات من قوارير (زجاج) لا تستحيل الى زيادة ولا نقصان ، فتضرب الدراهم على وزن عشرة دنانير على وزن سبعة مثاقيل » . فعمل بهذه المشورة عبد الملك وبعث نقوده الى جميع أنحاء العالم الاسلامي وتقدم الى الناس في التعامل بها وتهدد بالقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير . وهكذا أصبحت السكة شارة أساسية من شارات الخلافة . وأبطل المسلمون استخدام النقود الرومية والفارسية منذ ذلك الحين .

أما عن شكل نقود عبد الملك ، فقد نقش على الوجه في الوسط « لا اله الا الله وحده لا شريك له » وحوله في الطوق « بسم الله ضرب هذا الدرهم في بلد كذا سنة كذا » . وفي الظهر في الوسط « الله احد الله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » وحوله في الطوق « محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

أما من الناحية الفنية ، فقد تطور أسلوب الكتابة العربية على النقود الاسلامية ، بحيث كان لكل عاصمة من عواصم العالم الاسلامي التي ضربت فيها نقود أسلوب معين من الخط الكوفي الذي كان سائدا في العملة ، والذي ظل مستعملا حتى سنة ٦٢١ هـ ثم استعمل الخط النسخي وذلك في عهد العزيز محمد بن صلاح الدين الأيوبي بمصر والشام .

والشارة الثالثة من شارات الخلافة الطراز ، وكان لفظ الطراز يعني في أول أمره الكتابة الزخرفية التي توجد على الأقمشة ، وهو لفظ أعجمي مأخوذ من كلمة « طرازيدن » ومعناها التطريز واذن فالمعنى الأصلي لكلمة الطراز هو التطريز ثم اتسع مدلولها فأصبحت تستعمل للكتابة على الورق والنسيج .

وقد كانت هذه الكتابة تقتضيها عادة الخلع التي كانت متبعة في الخلافة الاسلامية ولأنها أصبحت شارة من شارات الخلافة ·

ولقد اجمع علماء الآثار اعتمادا على ما ورد في المراجع التاريخية وما عثروا عليه من الآثار المادية على أن مصانع الطراز في العصر الاسلامي نشأت في عهد الدولة الأموية وظل نظام الطراز معمولا به الى آخر العصر الفاطمي · أما في العصر الأيوبي فلم نجد لها أثرا · نتساءل في عهد من من الخلفاء ظهرت مصانع الطراز ؟

أما عن نشأة الطراز في العصر الاسلامي فيقول ابن عبد ربه في العقد الفريد « قال هشام بن الحسن رأيت على حسن البصري قميصا بحافته علامة وكان يصلي به أهداه له مسلمة بن عبد الملك » · وهذا النص جدير بالاهتمام ـ لأن الملابس التي عليها طراز (أي كتابة) كانت توصف بالمعلم ·

ويذكر المسعودي انه كان يوجد في عهد سليمان بن عبد الملك مصانع للطراز · وذكر ابو الفرج الاصفهاني : « ان الوليد الثاني كان يلبس ملابس بيضاء تتكون من ثياب الخلافة ويصلي بها » · والتعبير « بثياب الخلافة » كان يطلق على الثياب التي عليها شريط من الكتابة وهي شارة من شارات الخلافة ·

وذكر ابن الأثير : « انه في سنة ٢٦٩ هـ لعن الخليفة المعتمد ابن طولون في دار العامة وأمر أن يلعن كذلك على المنابر لأن ابن طولون امتنع عن ذكر الموفق (أخو الخليفة) في خطبة الجمعة وحذف اسمه من الطراز » · كما ذكر « ان الخليفة المعتمد أشهد الأمراء على أن المعتضد بالله ابن الموفق يتولى الخلافة وان يحرم ابنه وان يحذف اسمه من الضلة والصلاة وكتابة الطراز » · ومن هذا النص يمكننا أن نتبين أهمية الطراز كشارة من شارات الملك ·

وذكر المسعودي ان هشاما كان مولعا بالكساء والفرش وفي أيامه كان يصنع الحرير المرقوم أي الحرير الذي يحتوي كتابات وذكر ابن عبد ربه ذلك ايضا ·

أما عن السبب الذي من أجله اتخذ الطراز (أي الكتابة على النسيج والورق) كشارة من شارات الخلافة فيقول البيهقي الذي عاش في عصر الخليفة المقتدر ٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ يروي الكسائي : « دخلت مرة في حضرة الرشيد وكان جالسا في

الايوان وأمامه مبلغ كبير من نقود موزعة في أكياس ، كل كيس به ألف درهم ، وكان بيده درهم عليه كتابات ذات بريق وسألني : « هل تعرف من الذي انشأ الكتابة على الذهب والفضة ؟ فقلت « عبد الملك بن مروان » سأقول لك : ان القرطاس ينتمي للاغريق ومعظم المصريين مسيحيون يتبعون ديانة الامبراطور الاغريقي ، وطرازة القرطاس كانت بالطراز الاغريقي : « الأب الابن الروح القدس » . وقد استمرت كذلك في أوائل العصر الاسلامي حتى عهد عبد الملك ، فاستاء من هذه الكتابة على الورق وهي تحمل في الثياب والأواني التي تصنع بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها . وعلى ذلك فقد أمر بارسال خطاب الى عبد العزيز بن مروان والى مصر وأمره بالغاء الطراز من على الملابس والورق والستور . وأمره أن تكون الاختام التي يستعملها الصناع على الورق : « الله يعلم ان لا اله الا الله وحده » . هذا هو طراز الورق خاصة الى هذا الوقت ، كما أرسل الى كل حكام الولايات بالغاء الكتابات الاغريقية ومعاقبة كل من يخالف ذلك بالضرب الوجيع والحبس الطويل » .

ومن ثم فقد تحتم على الدولة الاسلامية ان تنشيء للطراز دورا (مصانع) في قصورهم عرفت باسم (دار الطراز) لنسج أثوابهم وعليها شريط الطراز كشارة من شارات الخلافة وقد وجد في الدولة الاسلامية نوعان من دور الطراز ، (طراز الخاصة) و (طراز العامة) وكان شريط الطراز يتكون من البسملة ثم الدعاء للخليفة ثم يجيء اسم الخليفة واسم المشرف على مصانع الطراز ثم مكان الصناعة وتاريخها . وكان القائم على دور الطراز يسمى (صاحب الطراز) وكانت وظيفته النظر في آلات النسيج وأمور الصناع وما يجري عليهم من الأرزاق كما كان عليه ان يختم بخاتم الخلافة ما يصدر من دور الطراز الى خارج البلاد . وكان الخلفاء يقلدون أعمال هذه الدور اللخاصة دولتهم من التفات وزرائهم ومواليهم ، اذ كان في يدهم خلع الخليفة بمجرد حذف اسمه من شريط الطراز ووضع اسم آخر بدلا منه .

ولعل من اكثر الشارات تأثيرا على الفن الاسلامي هي شارة الطراز . فلقد كان لصدور الأوامر الصارمة باتخاذ شريط الطراز على ما تنتجه مصانع النسيج اكبر الأثر على الزخارف الاسلامية عامة والنسيج بصفة خاصة . والطراز ، كما سبق القول ، شريط من العربية .

واذا كانت الدولة الاسلامية قد أصدرت أوامرها باتخاذ شريط الطراز كشارة من شارات الخلافة ، الا انها تركت للنساج الحرية في نقش ما يريده من أنواع الزخارف مصاحبا لشريط الطراز · ولما كان الطراز شريطا من الكتابة العربية ، التي لا يمكن قراءتها الا اذا كانت في وضع مستعرض ، فقد كان على الزخارف المصاحبة لهذا الشريط من نباتية أو هندسية أو حيوانية أن تكون هي الأخرى في وضع مستعرض والا أصبح الشكل الزخرفي العام غير مستساغ أو مقبول ·

وهكذا أصبح حصر الزخارف في أشرطة عرضية على المنسوجات وغيرها من المواد من أهم مميزات الزخرفة الاسلامية · وقد ظلت الزخارف المستعرضة هي الطابع العام للمنسوجات الاسلامية طوال عهد الخلافة العباسية في المشرق والفاطمية في مصر والشام والأموية في الأندلس فلما زالت الخلافة من العالم الاسلامي وحل محلها سلاطين المغول والمماليك والفرنجة ولم يعد الطراز شارة من شارات الملك ، وفي تحرر النساج من قيودها ، اختفت الزخارف المحصورة في أشرطة عرضية وأصبحت تنثر في النسيج كله ·

واتخاذ الطراز على النسيج قرابة سبعة قرون تقريبا ، وكان من أهم الاسباب التي أدت الى سرعة تطور الخط العربي وزخرفته بحيث ساير ركب التطور للعناصر الزخرفية الاخرى · ومن ثم فقد أصبح الخط العربي عنصرا زخرفيا هاما من عناصر الفن الاسلامي لا نجد له مثيلا في فنون العالم القديم أو الحديث على حد سواء ·

نخلص مما تقدم انه برغم ما كان لشارات الخلافة من مدلول سياسي من الدرجة الاولى اذ هي رمز سيادة الدولة ، وتاكيد تولي الخلفاء ، الا أنها لعبت دورا لا يستهان به في الحياة الاجتماعية بصفة عامة والفنية منها بصفة خاصة ·

حقائـ

هذه الدراسة تدور حول مدى اشتراك المصريين في صفوف الجنود الذين اشتركوا في حـرب الدرعية تحت قيـادة كـل من طوسون بن محمد علي ثم محمد علي ثم ابراهيم ·

هنالك شبه اجماع بين المؤرخين الذين تناولوا هذه الحرب بالدراسة على أن المصريين هم الذين خاضوا هذه الحرب استنادا الى أن القوات التي حاربت في الجزيرة العربية لمدة سبع سنوات ضد القوات السعودية انما خرجت من مصر وبقيادة والي مصر وابنيه طوسون وابراهيم ـ فهل كانت هذه القوات من المصريين حقـــا ؟

وقبل أن نتناول الاجابـة علـى هذا السؤال مـن وقائع التاريخ نتساءل : اذا سيطرت قوات استعمارية علـى دولة من الدول ثـم تحركت نفس هـذه القوات مـن أرض تلك الدولة المغلوبة لتغزو دولة أخرى فهل تعتبر تلك الدولة المغلوبـة هي المعتدية ؟